

اطراءات عضوية في رد عضوي على مقالة الدكتور عدنان ابراهيم السامرائي

"نظرة في الزراعة العضوية"

المهندس الزراعي / صادق جبار عباس/ ماجستير زراعة عضوية / ايطاليا

وزارة الزراعة / العراق

بداية تحية حب وتقدير للاستاذ الفاضل الدكتور عدنان ابراهيم السامرائي على ماتقدم به في مقاله "نظرة في الزراعة العضوية" (ولاعلم هل يقصد بها نظرة العموم او نظرتة الخاصة به) وفي هذا الصدد اود ان ابين الاتي :

- ان الزيادة السكانية في العالم في الفترة التي اعقبت الحربين العالميتين الاولى والثانية ادت وكنتيجة طبيعية الى الزيادة في الطلب على الغذاء . مما حدا بالدول وليس بالمزارعين فقط الى وضع استراتيجيات زراعية تهدف الى زيادة الانتاج الزراعي بشقيه الحيواني والنباتي وليس حماية له . فكانت للثورة الخضراء (الخاطئة) الاثر البالغ في زيادة الاعتماد على الكيماويات الزراعية المصنعة كادوات ضامنة للانتاج الزراعي فازدهرت بذلك صناعة المبيدات (كمبيدات الهايدروكاربونات المفسفرة DDT على سبيل المثال لا الحصر) وكذلك الادوية البيطرية والاسمدة ومنظمات النمو والتوجه لاحقا بالاصناف المعدلة وراثيا.
- اتفق تماما مع الدكتور العزيز السامرائي في طرحه بخصوص تقديم الشكر الجزيل للتقنيات التي اسهمت في التعرف على القيم الصغيرة جدا لمتبقيات تلك المواد الكيماوية الزراعية سابقة الذكر. فان في ذلك اعتراف صريح وواضح لما سببته تلك المواد وماتسببه في البيئة ونظمها المختلفة ومكوناتها التي تعتبر الانسان اهم مافيهها.
- كان نشوء بوادر الزراعة العضوية في سنة 1924 من قبل راؤف شتاينر في المانيا, حيث كان السبب في ذلك هو ضرورة الرجوع الى الطبيعة وماتوارثه الانسان منها من طرق واليات للتعامل معها اي مع الطبيعة في انتاج طعامه وملابسه وبناء داره. لذا فان بداية الاهتمام في نشوء بوادر فلسفة علوم الزراعة العضوية منذ ذلك الحين وليس كما يتصور البعض انها حديثة الانشاء او انها اعقبت مايسمى بالادارة المتكاملة للافات الزراعية . حيث يعتبر هذا التوجه في بعض معطياته من مفردات تلك الفلسفة.
- يفهم عند البعض خطأ ان الزراعة العضوية اكثر ماتركز عليه تدوير المخلفات في النظام الزراعي في حين ان مبادها ومفاهيمها وعلى لسان المنظمة الفيدرالية للزراعة العضوية IFOAM ابعد من ذلك بكثير فهي تمثل ذلك التوجه في النظام الزراعي الذي يستند على مباديء هي " الصحة, البيئة, العدالة و الإنصاف و أخيرا على مبدأ المسؤولية"

- جميل هو ذلك التعريف الذي أتى به الدكتور السامرائي عن ان نظام الزراعة العضوية هو ذلك النظام القديم الجديد واضيف عليه مما اكتنزه في ذاتي بانها تلك الفلسفة الزراعية التي تستند على ماجاء به الاجداد بتقنية الاحفاد . وبكل مايتضمنه ذلك التعريف فليس هم تلك الفلسفة الوحيد هو ابقاء مستوى الاصابة بالافات دون الحد الحرج الاقتصادي وليس في ذلك وحده تتحقق الزراعة المستدامة . حيث ان الاستدامة Sustainability هي من ابرز الدعامات لفلسفة علوم الزراعة العضوية لما لها من أهمية في إبقاء المنظر العام والتفصيلي للمعمورة التي نعيش ونعتاش فيها وعليها باق ودائم ولكل الاجيال القادمة التي تاتي من بعدنا.

- اما عن الغابات العذراء فلا اعلم ذكرها ها هنا من لزوم . فاذا كان ذكره كمثال للتوازن البيئي فاجد ان اي حقل للزراعة العضوية في اي من دول اوربا او امريكا او بريطانيا او حتى في الهند او الصين هو مثال حي وواقعي للتوازن البيئي ناهيك عن ان تلك الحقول تعمل ووفقا للتشريعات النافذة للزراعة العضوية جاهدة على الحفاظ على ذلك التوازن وضمان ديمومته. واتمنى ان يرجع الدكتور العزيز السامرائي الى الانترنت لمعرفة ما إذا كانت هناك امكانية عدم استخدام الكيماويات الزراعية المصنعة وفي هذا المجال احب التنويه الى الاتفاقيات الدولية للحد من استخدام الاجيال السابقة للمبيدات الكيماوية ومنها على سبيل المثال التخلص الدولي التدريجي لتداول واستخدام غاز برميد المثيل او الحد من تداول واستخدام الاصناف الزراعية المعدلة وراثيا . وما للثورة الخضراء (الحديثة والصحيحة) المتمثلة في ايجاد المبيدات العضوية او الاحيائية صديقة البيئة تلك التي يكون منشأها مستخلصات نباتية او طبيعية او احيائية وباشكال مختلفة . اضافة الى جيل الازمدة العضوية البعيدة في مكوناته عن اي من الكيماويات الزراعية المصنعة . وفي مراجعة بسيطة للمعلومات التي توفرها لنا التكنولوجيا وخصوصا تكنولوجيا المعلومات والانترنت حول الدول التي تبنت فلسفة الزراعة العضوية وماتشكله من نسب مئوية من الانتاج الكلي لهذه الدول نجد ان لاختلافات تكمن في الامكانيات الحقيقية لتطبيق الزراعة العضوية بفلسفتها ومدى الاستجابة لذلك للزيادة في مستوى الطلب على الغذاء . فلا فرق يذكر (وهذا مثبت علميا وعالميا) في الانتاج للحقول التقليدية عن الانتاجية في حقول الزراعة العضوية

- اتفق مرة اخرى مع الدكتور السامرائي عندما اراد ان يجعل من مقاله البسيط البسيط بعيدا عن الاتجاهات المتعصبة لاي من المواقف ومحاولته طرح الموضوع بأسلوب يسلط الضوء على القواعد التي يمكن ان تساعد في صناعة الاستراتيجيات للزراعة العضوية ووفقا للامكانيات والظروف المتاحة وذلك للدور الذي يمكن ان تساهم فيه الزراعة العضوية في برامج التنمية الوطنية, هنا تجدر الإشارة الى ان الدكتور السامرائي وفي الوقت الذي اتفق معه في ماجاء في مقدمة هذه الفقرة كان من المستحسن له التوسع في فلسفة علوم الزراعة العضوية بعض الشيء لاجل اطلاع القاريء عن تطبيقاتها عالميا فيما يسهم في جعل تلك العلوم وفلسفتها في دعم برامج التنمية الزراعية الوطنية لتلك الدول التي تبنت وتكيفت معها كعلوم تطبيقية بديلة عن ماتم تبنيه عقب الحربين العالميتين .

- لم يكن مايبيرر للدكتور السامرائي عن ما ذكره البعض من المتخصصين في طرحهم للزراعة العضوية كحل سحري فالقول هنا لوصف الحل السحري كان متزامنا مع كل

- ابتكار او تطور في العالم وما تحويل طاقة الرياح والطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية او تحويل طاقة الهيدروجين الذائب في الماء الى طاقة حركية تسير فيها سيارات المستقبل .
- فاذا ما طبقنا الزراعة العضوية بالشكل الصحيح فانا سنحصل على ما هو اكبر من السحر .
- ولاداعي لتخوف الدكتور السامرائي من ان طرح الزراعة العضوية كاحد المشاريع بأسلوب مبالغ فيه سوف يؤدي الى اي اخفاقات كبيرة لاسامح الله والحجة في ذلك دراسة وبحث بسيط للدول التي سبقتنا في طرح وتبني ومن ثم التكيف مع هكذا مشاريع .
- لكل قاعدة شواذ لاعليك استاذي العزيز بمن يحاول جعل الزراعة العضوية تنحدر الى مستوى الزراعة الصناعية الاقتصادية لان هؤلاء لا يمكن باي شكل من الاشكال الدخول الى السوق بمنتجاتهم على اساس انها منتجات عضوية من غير المرور بالمصادر الاقليمية او العالمية المانحة لشهادات صحة المنتج العضوي والتي تعتمد على فرق متخصصة بالبحث والتحقيق والسيطرة النوعية في كل من حقول الزراعة العضوية او تلك التي في طريقها الى ذلك .
- الاسلوب المبالغ فيه حسب ادعاء الدكتور العزيز السامرائي في طروحات اسماها الدكتور بالاتجاهات والتي لم يفصح عن ماهية مصادر تلك الاتجاهات التي قامت بالتصريح عن تلك الطروحات المبالغ فيها بالنسبة للزراعة العضوية . لعلي قد افي بالرد عن تلك الطروحات بغض النظر عن مصادرها ونكتفي بالمصدر الناقل لها وهو الدكتور العزيز السامرائي :

✚ هناك العديد من المصادر التي خاضت في تطبيقات الزراعة العضوية التي ساهمت في تحقيق الامن الغذائي للبلدان واذكر هنا ماجاء به الاستاذ الفاضل Daniele Giovanocchi في تقرير عن " الزراعة العضوية ودورها في التقليل من الفقر في قارة اسيا ومنها الصين والهند (تموز 2005) . فاذا تصورنا انها اي الزراعة العضوية تسهم وبشكل فعال في التقليل من الفقر الذي يتصف به غالبا صغار المزارعين فان في ذلك حياكة ولو انها اولية لخيوط ثوب الامن الغذائي وان ماجاء به الاستاذ جيفانوجي من نسب مئوية في هذا المجال قد تجاوزت ماتم ذكره من قبل الاستاذ السامرائي . وتجدر الاشارة هنا ان دول اوروبا قد تبنت فلسفة علوم الزراعة العضوية منذ العشرينات من القرن العشرين وابدات تكبر وتكبر حتى وقتنا الحالي حيث بلغت نسبة 9% من مجموع الاراضي لدول المجموعة الاوربية واعتقد ان هذه النسبة لاسباس بها اخذين بنظر الاعتبار حتمية زيادتها لما يعاني منه العالم حديثا من مشاكل جمة منها الاحتباس الحراري واتساع ثغرة الغلاف الجوي ويقابلها ازدياد كل من السمنة والجوع . اما عن انحصار تطبيقات الزراعة العضوية في مجال انتاج الخضر فلاصحة في ذلك حيث ان ماتم تبنيه من تطبيقات الزراعة العضوية ممكن تطبيقه على جميع الحقول العضوية بلا استثناء وبما تحتويه من حقول للحبوب الاستراتيجية او الحقول التي تضم البيوت المحمية او تلك التي تحتوي البساتين منها الحمضيات والزيتون والعنب اضافة الى احتواءها على حضائر ضخمة لتربية الدواجن والعجول وغيرها . واحب التنويه هنا الى ذهاب الزراعة العضوية الى ابعد من ذلك حيث اسهمت بشكل فعال في احياء مايسمى بالسياحة الزراعية او الزراعة السياحية والتي بتطبيقها يكون هناك خلق وتوسيع لمصادر الدخل للفلاح ومايسهم اخيرا بتحقيق الامن الغذائي . وامثلة عديدة فيما يخص التجارة المنصفة Fair Trade او ايجاد

منافذ عالمية للتصدير والدخول الى السوق العالمية ناهيك عن تشجيع الصناعات الغذائية العضوية ومؤخرا دخول منتجات الكماليات العضوية الى الوجود (الصابون ومعجون الاسنان ومساحيق البشرة وغسولات الجسم والشعر).

بعد ماتم الاشارة الى بعض التفاصيل في صدر هذا المقال الرد عن دور فلسفة علوم الزراعة العضوية في مجال تحقيق التوازن الحيوي في النظام البيئي ولي في فصول الزراعة العضوية المنشورة في حقل الزراعة العضوية لموقع نخيل العراق للاستاذ الفاضل ابراهيم الجبوري التفاصيل الاكثر في هذا المجال .

لنفترض حصلنا على غذاء صحي وسليم ومنتج حسب المواصفات العالمية وحين البدا يتناوله كانت ايدينا ملوثة ببعض الشوائب فهل ننعت بذلك مصدر الغذاء ام ننعت انفسنا؟؟؟ لذا فانا على اتفاق تام مع ماجاءت به اكااديمية العلوم الامريكية عن ان ليست هناك اية ضمانات فيما يخص جانب التلوث الذي هو السبب في جعل هذا المنتج صحي او غيرصحي . ولكن الزراعة العضوية تضمن ان المنتج العضوي خال (او بنسب مقبولة عالميا) من الكيماويات الزراعية المصنعة التي تشمل الاسبدة والمبيدات وغيرها من المعقمات او اللقاحات او غيرها وعلى هذا الاساس فان المنتج العضوي لايسمى عضويا الا بعد مطابقته للنظم والتشريعات العضوية النافذة لذلك البلد . ومن اهم فقرات تلك النظم والتشريعات هو الابتعاد عن الكيماويات الزراعية المصنعة ومعرفة مناشيء ومصادر كل ما يتم استخدامه في الحقل بما في ذلك البذور والدرنات والابصال وغيرها من الاجزاء التكاثرية للنباتات ومرورا بالفعاليات الزراعية بما فيها الحراثة التي توصي بها الزراعة العضوية والتي تكون اما صفرا او الحراثة السطحية للارض الزراعية وتدوير عناصر التربة اليها وانتهاءا الى عمليات التعشيب والحصاد والفعاليات الزراعية التي تعقب ذلك ووصولا الى فعاليات التسويق وماتشتمل عليه من تخزين ونقل وفترة بقاء على الرفوف بانتظار طلبها ومن ثم استهلاكها .

لاضير في جعل التمر العضوي العراقي او الرز العنبر العضوي العراقي ان يصل الى النظام التجاري الدولي او ماقام به اقليم الشمال من تصدير مايقارب 12000 طن من قطف الغابات الطبيعية الى دولة الامارات العربية المتحدة كمنتج اخضر خالي الى حد ما من ماعانى منه الوسط والجنوب العراقي من مخلفات الحروب وتلوثاتها عدا الملوثات التي تنكب يوميا في دجلة والفرات . مبادئ فلسفة علوم الزراعة العضوية في خلاف تام مع مبدا الحقول احادية المحصول لما في ذلك من اضرار واضرار في التوازن الحيوي للبيئة لذا فان هذا الاسلوب لايمكن في اي حال من الاحوال تنسيبه الى الزراعة العضوية . ففي ذلك توضيح هام عن ابتعاد الزراعة العضوية كل البعد عن تحويل الزراعة الى زراعة صناعية او تجارية والمواقع الاليكترونية كثيرة وعديدة وسهل الرجوع اليها لاجل الوصول الى الواقع .

حقيقة الامر تختلط بعض الاحيان على عامة القراء وليس المتخصصين منهم التعريف الموجز والدقيق للزراعة العضوية ولكن يجب ان نفهم عامية القراء نحن كمتخصصين باحد فروع العلوم البايولوجية ذلك ان مفهوم الزراعة العضوية لايقصر على الابتعاد عن الكيماويات الزراعية المصنعة فحسب بل انها فلسفة علوم الزراعة العضوية ومانصت عليه المنظمة الفيدرالية العالمية للزراعة العضوية على المبادئ الاربعة التي هي

الصحة , البيئة , الانصاف والعدالة , المسؤولية . ويمكن الرجوع الى مقالاتي في هذا الخصوص والمنشورة في نفس الموقع سابق الذكر (نخيل العراق) . حيث يمكن للقارئ ان يستنتج فيما اذا كان للزراعة العضوية الدور الواسع في تلبية المستهلكون من توفير منتج غذائي يليق بهم كادميين على هذه المعمورة اضافة الى ما يستهلكه دوابهم .

اما عن التساؤلات الكبيرة التي ذكرها الدكتور السامرائي عند مقارنته بطلبات اخرى للمستهلكين في وفرة الغذاء وبسعر مقبول مع التنوع الغذائي ففي ذلك احب ان انقل الصورة التالية : تحدث لي احد الاخوة في اوكرانيا عن ان هناك لحوم عجل سعر الكيلوغرام هو واحد روبل في حين نفس القصاب وشبيه بهذا اللحم ولكن بسعر 13 روبل وقد لاحظ ان اللحم ذو سعر الواحد روبل عليه اقبال شديد من قبل كبار السن في حين على العكس بالنسبة للنوع الثاني فبعد السؤال عن الامر تبين ان النوع الرخيص كان قد تلوث اشعاعيا جراء انهيار مفاعل تشيرنوبل اما الاخر فلا. فرق السعر فيما بين المنتج العضوي عن غيره التقليدي لايتجاوز نسبة من 10 الى 15% وهذا ملاحظته شخصيا اثناء دراستي في ايطاليا اما عن وفرته فهو متوفر ولايختلف فيه عن ذلك المنتج التقليدي .

من هذا المنبر اتمنى على الدكتور العزيز السامرائي من ان ياتي لنا بنص او تشريع خاص بالزراعة العضوية يجيز استخدام اي من الكيماويات الزراعية المصنعة .

اما عن ان انظمة وتشريعات الزراعة العضوية تتضمن استخدام المستخلصات النباتية والمعدنية وغيرها من الاملاح الموجودة بشكل طبيعي فهذا شيء يدعو الى الفخر ذلك ان استخدام الطبيعة ومكوناتها في عملية اشبه بالتدوير وعملية اشبه بان تكون استخدام علاجات من الطبيعة الى الطبيعة . وتستند في ذلك الى نتائج لبحوث علمية عالمية في هذا المجال او ذاك فلامجال للتخوف او خلط الأوراق .

اما في فقرة مهاجمة الزراعة العضوية من قبل اراء متشددة ومن دون قواعد علمية رصينة فلايسعني الا ان احذر من هكذا قراءات بصفتنا اناس علميين نعتمد النتيجة العلمية التي تقوم على مبدا الافتراض العلمي وبالبحث العلمي للتوصل الى اعتماد او دحض ذلك الافتراض العلمي . فلاشان للاراء دون الاستناد الى قواعد علمية رصينة فهي لاغير من الواقع بشيء. رغم ذلك لم استطع بان امر على تلك الاراء مر الكرام كما يقول المثل الشعبي دون اعطاء الراي الذي اراه مناسباً لذلك ففي ماقدمه الدكتور السامرائي في هذا المجال كان على النحو الاتي:

1- ان الراي في هذه الفقرة ياتي متفقاً مع فلسفة علوم الزراعة العضوية والذي يشير الى عدم اقتنار التعامل مع الافات الزراعية فقط بالمواد الكيماوية المصنعة حيث ان هناك العديد من الفعاليات الزراعية والعناصر الفاعلة في البيئة المحيطة ما يضمن التقليل من اضرار تلك الافات وبنفس الوقت الحفاظ على محتويات تلك البيئة . وانا انسجم تماماً مع تكملة الفقرة وربط فلسفة علوم الزراعة العضوية بالاحتياج الى كم من المعلومات البيئية الزراعية لاجل الوصول الى تطبيق امثل لتلك الفلسفة والوصول بامان الى النتائج المتوخات منها . مع الاشارة الى اعتماد كل ماموجود في البيئة الام والابتعاد عن كل المدخولات الزراعية الدخيلة وعلى سبيل المثال اعتماد الاصناف الزراعية المحلية والابتعاد عن تلك التي يؤتى بها من الخارج ز مثال اخر هو اعتماد فلسفة علوم الزراعة

العضوية على اعتماد المعلومات الزراعية والبيئية المتوارثة لان منها مايكون او يكون الحل الامثل والعلاج الناجع للكثير من المعضلات التي قد تكتنف الزراعة العضوية والحقل العضوي .

2- يتفق ايضا الراي في الفقرة الثانية تماما مع فلسفة علوم الزراعة العضوية الا ان ذلك التدني البسيط في نوعية وكمية المحصول وان وجد فهو يلازم السنتين الاولى من تطبيق الزراعة العضوية ولكن الالم هو ذلك المستوى المتدني من متبقيات المواد الملوثة التي قد تصل المنتج العضوي عرضيا اثناء مراحل نقل الحاصل او تسويقه او ربما تلك الملوثات غير المسيطر عليها كتلوث الجو مثلا .

أ- ان التنافس في السوق فيما بين المنتجات الزراعية العضوية والتقليدية يكون لصالح عامة الناس بعد ان يعلمو ماهية المنتوجين . علما ان الفرق في الاسعار وهذا ملاحظناه شخصا في معظم الاسواق الايطالية لايتجاوز نسبة 10 الى 15% . اي المنتج العضوي اغلى بقدر هذه النسبة عن ما هو تقليدي.

ب- من المفضل في هذه الفقرة اضافة لما ذكر ان يحسب حساب التوعية الشعبية لارساء مبادئ الحفاظ على البيئة بكافة مكوناتها وبالتالي تسيير خطط هذه التوعية ليصل مسارها الاهتمام بالغذاء وانتهاء بالصحة . حيث لا بد من اعداد البنية التحتية للتحويل في مساراتنا الغذائية والمعيشية الخاطئة لكي ننبنى ونتعايش مع تلك المبادئ العالمية والعلمية في هذا الاتجاه ومن تلك التحولات هي التحول نحو الزراعة الخضراء والتي بدورها تشق الطريق للزراعة العضوية .

الى الملتقي في بيئة امنة وامينة انشاء الله